الحلقة (٤٠)

▣ قواعد في الصفات:

١- **أن صفات الله كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه** كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والعظمة وغير ذلك، وقد دل على ذلك السمع والعقل والفطرة، والدليل من السمع قال تعالى {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} والمثل الأعلى الوصف الأعلى الكامل، أما العقل فوجهه أن كل موجود حقيقة لابد أن تكون له صفة، إما صفة كمال، أو صفة نقص، والثاني ممتنع عن الله الكامل المستحق للعبادة، فيتعين الأول لله عز وجل، ثم إنه ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، فمعطي الكمال أولى بها، وأما الفطرة فلأن النفوس السليمة مجبولة على حب الله وتعظيمه وعبادته، وهل تحب وتعبد وتعظم إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائق بربوبيته و ألوهيته؟!

والصفات منها ما هو **صفات كمال على الإطلاق** كالصفات السابقة فهذه ثابتة لله عز وجل، **ومنها نقص على الإطلاق** فهذه منفية عن الله سبحانه تعالى مثل العمى والصمم، **ومنها ما هو كمال من وجه ونقص من وجه** فهذه يوصف بها الله في حال كمالها ويمتنع وصفه بها في حال نقصها، بحيث يوصف بها وصفا مقيدا مثل المكر والكيد والمخادعة.

٢- **باب الصفات أوسع من باب الأسماء** لأن كل اسم متضمن لصفة، وليس العكس، ولأن من الصفات ما هو متعلق بأفعال الله، وأفعاله لا منتهى لها، قال تعالى {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ومن أمثلة ذلك أن من صفات الله الإتيان والإمساك والأخذ والمجيء والبطش، فنصف الله بذلك على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول أن من أسمائه الجائي، والباطش، والآخذ، والممسك، والمريد، وغير ذلك، وإن كنا نخبر عنه بذلك ونصفه به، فهذا ملحظ مهم.

٣- **صفات الله تنقسم إلى ثبوتية وسلبية:**

فالثبوتية: هي ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات كمال لانقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة والعلم والقدرة واليدين فيجب إثباتها لله على الوجه اللائق به، كما جاء في طريقة أهل السنة والجماعة بأسماء الله وصفاته.

وأما السلبية أو المنفية فهي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو نفاها عنه رسوله، مثل النوم والصمم وغير ذلك من صفات النقص، فيجب نفيها عن الله عز وجل.

٤-**الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال،** فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصف بها ما هو أكثر، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر من السلبية، **فالقاعدة في**

ذلك: الإثبات المفصل والنفي المجمل.

فالإثبات مقصود لذاته، أما النفي فلم يذكر غالبا إلا على الأحوال التالية:

١- **بيان عموم كماله** قال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وقوله {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد}.

٢- **في نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون** قال تعالى {أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا}.

٣- **دفع توهم نقصٍ من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر** قال تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِين} وقوله {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ}

ثم إن النفي مع أنه مجمل بالنسبة للإثبات إلا أن فيه تفصيل وإجمال بالنسبة لنفسه، **فالإجمال في النفي** أن ينفي عن الله كل ما يضاد كماله من العيوب والنقائص كقوله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وقوله تعالى {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} وقوله تعالى {سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُون}،**وأما التفصيل في النفي** فهوأن ينزه كل واحد من العيوب والنقائص بخصوصه، فينزه عن الولد والصاحبة والسِنة والنوم، وغير ذلك مما ينزه الله عنه.

٥- الصفات الثبوتية تنقسم إلى أ/ ذاتية ب /فعلية

أ) الذاتية هي التي لم يزل ولا يزال الله متصفا بها، والتي لا تنفك عنه سبحانه تعالى، كالعلم والقدره والبصر والسمع والقوة والعزة والحكمة والوجه واليدين....

ب) الفعلية هي التي **تتعلق بمشيئته**، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالنزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش، **وقد تكون الصفة ذاتية وفعلية** باعتبارين، فإنه باعتبار أصله كما مر معنا في صفة الكلام، فهي صفة فعلية باعتبار، وذاتية باعتبار، فإن الكلام باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله مازال ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام كلامه لموسى صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، فهو يتكلم بما شاء متى شاء، وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته، وقد تكون الحكمة معلومة لنا وقد نعجز عن إدراكها، ولكننا نعلم يقيناً أن الله لا يشاء شيئا إلا وهو موافق لحكمته، كما يشير إليه قوله تعالى {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُۚإِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

٦- الصفات الذاتية والفعلية تنقسم إلى: أ / عقلية ب / خبرية

أ) العقلية هي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي، والدليل العقلي، وهي أغلب صفات الله مثل السمع والبصر والقوة والقدرة.....

ب) الخبرية وهي التي لا تُعرف إلا عن طريق النص فقط، مع أن العقل السليم لا ينافيها، مثل صفة اليدين والنزول إلى السماء الدنيا.

٧- أن صفات الله توقيفية، فلا نصفه إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسول صلى الله عليه وسلم، ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة **ثلاث أوجه:**

أ / التصريح بالصفة كالعزة والقوة والرحمة كقوله تعالى {فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} وقوله {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} وقوله {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ}.

ب / تضمن الاسم لها كالعزيز الغفور قال تعالى {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} فالعزيز متضمن لصفة العزة، والغفور متضمن لصفة المغفرة.

ج/ التصريح بفعل أو وصف دال عليها كالاستواء على العرش والمجيء قال تعالى {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} وقال {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}.

٨- المضافات إلى الله عز وجل إن كانت أعيان فهي من جملة المخلوقات، وإن كانت أوصاف فهي من صفات الله، وبيان ذلك أن المضافات لله نوعين:

▪النوع الأول: **أعيان قائمة بذاتها** مثل عبد الله، وناقة الله، فهذه من جملة المخلوقات، وإضافتها إلى الله من باب إضافة المخلوق لخالقه **وقد تقتضي تشريفا** مثل بيت الله و ناقة الله، **وقد لا تقتضي تشريفا** مثل أرض الله، وسماء الله.

▪النوع الثاني: **أن يكون المضاف أوصافا غير قائمة بذاتها** مثل سمع الله، وقدرة الله، وبصر الله، **فهذه الإضافة تقتضي أن هذه الصفة قائمة بالله، وأن الله متصف بها، وهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.**

٩-أن القول في بعض الصفات كالقول في بعض، وهي قاعدة يرد بها على من فرق بين الصفات **كالمعتزلة** فأثبتوا بعض الصفات ونفوا البعض، فيقال لمن فعل ذلك أثبت الجميع أو انف الجميع، ومن أثبت بعضها ونفى بعضها فهو مضطرب متناقض، وتناقض القول دليل على فساد رأيه وعلى بطلانه.

١٠- القول في الصفات كالقول في الذات، وذلك أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل الصفات، وكذلك الأفعال، فنثبت لله من أفعاله كيفية لا نعلمها، ولا تُشابه كيفية المخلوقين.

١١- أن ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار، فباعتبار المعنى معلومة، وباعتبار الكيفية مجهولة، وهذا كما ورد عن الإمام مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة" وقال للرجل السائل: أظنك رجل سوء، فأمر بإخراجه وأخرج من حلقته في المسجد، فالاستواء معناه معلوم لنا، فهو بمعنى العلو والارتفاع والصعود والاستقرار، أما كيفية الاستواء فمجهولة، لأن الله أخبرنا بأنه استوى ولم يخبرنا عن كيفية استوائه سبحانه وتعالى.

ضد توحيد الأسماء والصفات:

الإلحاد فيها ويدخل فيها **التعطيل والتحريف والتكييف والتمثيل والتفويض.**

الإلحاد في اللغة: هو الميل، ومنه اللحد في القبر ومنه الميل عن الحق.

اصطلاحا: العدول عما يجب اعتقاده أو عمله، والإلحاد في أسماء الله هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

ومن أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته:

أ / أن ينكر شيئا مما دلت عليه من الصفات **كفعل المعطلة.**

ب / أن يجعلها دالة على تشبيه الله بخلقه **كفعل الممثلة.**

ج / أن يسمي الله بما لم يسم به نفسه، لأن أسماء الله توقيفية **كتسمية النصارى** لله أباً، وتسمية **الفلاسفة له تعالى** علة فاعلة، أو العقل المدبر، أو بمهندس الكون، أو غير ذلك.

د / أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام **كاشتقاق اللات من الإله، والعزى من العزيز.**

هـ /وصف الله بما لا يليق وبما ينزه عنه **كقول اليهود** {إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء}وقولهم إن الله تعب من خلق السماوات والأرض واستراح يوم السبت.

التعطيل والتمثيل والتكيف والتحريف هذه الألفاظ مضى شرحها في الحلقات الماضية، **هناك فرق ضلت في باب الأسماء والصفات** مرت علينا منها **الجهمية والمعتزلة و الأشاعرة و الماتوريدية والممثلة**، وفي كتب الفرق بيان وتوضيح بماهية هذه الفرق، وكيف ضلت وانحرفت خاصة في هذا الباب.

مفردات المقرر:

وتدرس فيه الموضوعات التالية:

أصول الدين، وجوب بما جاء به الرسول إيماناً عاما مجملاً على كل أحد، المعرفة التفصيلية فرض كفاية، عموم دعوة الرسول إلى يوم القيامة ووجوب طاعته، كفاية ما جاء به الرسول، العلم بالكلام هو الجهل بالكلام والوصول إلى علم الأصول لا يكون بغير اتباع ما جاء به الرسول، التوحيد ومعانيه، التوحيد المطلوب هو توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية، أنواع التوحيد الذي دعت إليه الرسل، معاني الشهادة ومراتبها، الإعراض عن أقوال علماء الكلام في التوحيد فإن أكمل الناس توحيداً الأنبياء والمرسلون.

معنى قوله تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء } الموجود في الخارج لا يوجد كلياً بل يوجد معيناً مختصاً، توقف فهم المعاني عند المخاطب على معرفة عين مسماها أو ما يناسب عينها، الحقائق الشرعية وكيفية دلالة الألفاظ عليها، قدرة الله وأنه لا يعجزه شيء، التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية هو سبيل أهل السنة، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات، تفسير لا إله إلا الله، معنى الأول والآخر، قديم بلا ابتداء ودائم لا انتهاء، القديم ليس من الأسماء الحسنى ولكنه تعبير المتكلمين، لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد والرد على القدرية والمعتزلة، الفرق بين الإرادة الدينية والإرادة الكونية، الرد على المشبهة، الله حي لا يموت، قيوم لا ينام، وهو الخالق الرازق، وهو المميت الباعث، لم يزل متصفاً بصفات الكمال، صفات الذات وصفات الفعل، الصفات وهل هي زائدة على الذات، الاسم عين المسمى أو غيره؟ الرد على الجهمية والمعتزلة في الصفات، البحث عن التسلسل، هو الخالق البارئ، الأقوال في هذا العالم من مادة أم لا؟ هو الرب قبل أن يوجد مربوب والخالق قبل أن يوجد مخلوق، وهو كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، الإيمان بربوبية الله العامة التامة، لله المثل الأعلى، إعراب { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء } خلق الله الخلق بعلمه، تقدير الأقدار وضرب الآجال، الدعاء المشروع وأثاره، مشيئة الله تنفذ لا مشيئة العباد، المشيئة غير الرضا، الهدى والضلال والرد على المعتزلة في قولهم الواجب والأصلح، وجوب الإيمان بنبوة رسول الله e ورسالته، البحث في المعجزات ودلالتها على النبوة، القرائن والدلائل التي احتجت بها خديجة ثم النجاشي ثم هرقل على صدق رسالة رسول الله ـ e ـ إنكار رسالته طعن في الرب سبحانه وتعالى، الفرق بين النبي e، محمد خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، التفضيل بين الأنبياء، محمد e حبيب الله، الفرق بين المحبة والخلة، كذب من يدعي النبوة بعد رسول الله، عموم بعثته إلى الإنس والجن، إعراب {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاس}.

القرآن كلام الله، افتراق الناس في مسألة الكلام تسع فرق، مذهب أهل السنة في كلام الله والرد على مخالفيهم، تكليم الله لأهل الجنة وغيرهم، الرد على من ادعى أن كلام الله مخلوق، إلزام عبد العزيز

الكناني لبشر المريسي في مسألة خلق القرآن، الرد على من ادعى خلق القرآن، أهل السنة كلهم متفقون على أن كلام الله غير مخلوق.

الرد على بعض متأخري الحنفية في زعمهم أن كلام الله معنى واحد، الذي في المصحف هو كلام الله، كلام الله بلا كيفية، مذاهب الناس في مسمى الكلام والقول، عود إلى الرد على من قال أن الكلام معنى واحد، واستنكار استدلالهم بشعر الأخطل بأعلى بيان، تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله وزعم أنه قول البشر أو يشبه قول البشر، كفر من وصف الله بمعنى من معاني البشر، رؤية الله حق لأهل الجنة والرد على من خالف في ذلك من الجهمية والمعتزلة والخوارج والإمامية، وتوفر الأحاديث الدالة على الرؤية والقطع بصحتها، لا تعلم أصول دين الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله، لا يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، الخلاف في رؤية رسول الله ربه ليلة المعراج، تأويل المعتزلة نصوص الكتاب والسنة تحريف لكلام الله ورسوله عن موضعه، من لم يسلم لنصوص الكتاب والسنة واعترض عليها بالشكوك، والشبه والتأويلات وادعى أنه يقدم عقله على النقل لم يكن سليم العقيدة، الواجب كمال التسليم للرسول والانقياد لأمره دون معارضه بخيال باطل يسميه معقولاً، توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول، لا نجاة إلا بهما فلا تحاكم إلى غيره ولا نرضى بحكم غيره، لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، العقل من النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، التحذير من الكلام في أصول الدين وغيرها بغير علم، من لم يسلم للرسول نقص توحيده، الملوك وأحبار السوء والرهبان،علم الجدل والكلام، ما قاله الله ورسوله هو الأصل.

اصطلاحات المتكلمين بألفاظ توقع في الشبه والحيرة، سبب الإضلال هو الإعراض عن كلام الله ورسوله والاشتغال بكلام اليونان والآراء المختلفة، اعتراف أساطين الكلام بوقوعهم في الحيرة والشك، من طلب الدين بالكلام تزندق، الرد على من أنكر الرؤية أو تأويلها، معنى التأويل في الكتاب والسنة، معنى التأويل في كلام المتأخرين وفتحهم بهذا باباً للشرك والابتداع، النفي والتشبيه مرضان من أمراض القلوب، تنزه الله عن الحدود والغايات وما لا يليق بجلاله في باب الصفات، إثبات ما أثبته الله ورسوله وكذلك النفي، وجوب نفي الحد عن الله وصفاته، معنى لفظ الجهة.